اللواء ١٩ تشرين الأوّل ٢٠١٦

ترانيم خرساء!..

الحقيقة تزعج ونحن أمسينا ظاهرة كلامية بل صوتية.

كلمات... كلمات! أصوات، مجرد اصوات، وتهافت بغيض وسياسات رديئة.

الحاكم قائم أساساً ليكون خليفةً الله في الأرض ولكنّ الواقع خلاف ذلك، فالخلافة كثيراً ما تكون وراثية قبلية مذهبية. لذا سرعان ما تغدو خلافة اشباح والبلاد تكاد تكون حلبة ترقص فيها الاستهامات. فيها المحاباة وفيها دغدغة الجماهير وخطابة ركيكة فارغة. والجماهير تغذي كبرياء المتكبّرين ولا تبرز كبر الكبار.

مَن قال ان الحكماء فوق؟ الحواضر تتسطّح خصوصاً أنْ سَكِر اناس من انفسهم ومن تطبيل المطبلين وتصفيق المصفقين، تصَدقهم الحواضر والمدن لتلازم الشهوات المتفاوتة. تقنعهم شهواتهم أنهم موجودون ولا أحد يجرؤ على تجاوزها خشية ان يقيم في الحقيقة التي وحدها تحرر. مدح الذات والنافذين يوهم الوجود وكذلك هجاء الخصم! لا اثر لمنزلة بين منزلتين هي منزلة الديمقراطية والروح النقدية البنّاءة.

نحن في حبكة قد تنتهي بالاختناق، نبحر أحياناً خشية الوقوف على اليابسة الراهنة...فيبرز الحنين الذي هو سعي لاقرار. ماتت حتى الشجرة في بلادنا لئلا ترسخ التربة فالتربة اقامة وتماسك ونحن مهاجرون أو مهجّرون أو مهمّشون على أرضنا.

نغنّي ونتشدّق بما ليس لدينا ونطرب من أي شيء فالطرب دوار اضافي وربما نسيان. ويأكل مَن يأكل ويجوع مَن يجوع و«توكلوا على الله» ليس في هذا جهد ودعوا حفنة من الناس يعبثون بكل شيء ويستأثرون بالحصص والمغانم في كل الأزمنة!.

وبعد، هل يبقى المدى بين الفم والأذن وحده مباحاً في الكلام فنمسي عائشين في احسن الأحوال في نشوة ترانيم خرساء!.

د. جهاد نعمان